شرح
رسالة العبودية

المجلس الثامن

فضيلة الشيخ

عبد اللّه الغنيمان

-حفظه الله-

شرح

رسالة العبودية

المجلس الثامن

لفضيلة الشيخ

عبد اللّه الغنيمان

-حفظه الله-

بسم الله الرحمن الرحيم

القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

قال المصنف رحمه الله في رسالة العبودية: [فإتباع هَذِه الشَّرِيعَة وَالْقِيَام بِالْجِهَادِ بهَا من أعظم الفروق بَين أهل محبَّة الله وأوليائه الَّذين يُحِبهُمْ وَيُحِبُّونَهُ وَبَين من يَدعِي محبَّة الله نَاظرا إِلَى عُمُوم ربوبيته أَو مُتبعا لبَعض الْبدع الْمُخَالفَة لشريعته فَإِن دَعْوَى هَذِه الْمحبَّة لله من جنس دَعْوَى الْيَهُود وَالنَّصَارَى الْمحبَّة لله بل قد تكون دَعْوَى هَؤُلَاءِ شرا من دَعْوَى الْيَهُود وَالنَّصَارَى لما فيهم من النِّفَاق الَّذين هم بِهِ فِي الدَّرك الْأَسْفَل من النَّار كَمَا قد تكون دَعْوَى الْيَهُود وَالنَّصَارَى شرا من دَعوَاهُم إِذا لم يصلوا إِلَى مثل كفرهم.

وَفِي التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل من التَّرْغِيب فِي محبَّة الله مَا هم متفقون عَلَيْهِ حَتَّى إِن ذَلِك عِنْدهم أعظم وَصَايَا الناموس.

فَفِي الْإِنْجِيل أعظم وَصَايَا الْمَسِيح: (أَن تحب الله بِكُل قَلْبك وعقلك ونفسك) وَالنَّصَارَى يدعونَ قيامهم بِهَذِهِ الْمحبَّة وَأَن مَا هم فِيهِ من الزّهْد وَالْعِبَادَة هُوَ من ذَلِك وهم بُرَآء من محبَّة الله إِذْ لم يتبعوا مَا أحبه بل ﴿اتبعُوا مَا أَسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أَعْمَالهم﴾ [٢٨ مُحَمَّد] .

وَالله يبغض الْكَافرين ويمقتهم ويلعنهم وَهُوَ سُبْحَانَهُ يحب من يُحِبهُ لَا يُمكن أَن يكون العَبْد محبا لله وَالله تَعَالَى غير محب لَهُ بل بِقدر محبَّة العَبْد لرَبه يكون حب الله لَهُ وَإِن كَانَ جَزَاء الله لعَبْدِهِ أعظم كَمَا فِي الحَدِيث الصَّحِيح الإلهي عَن الله تَعَالَى أَنه قَالَ: « **من تقرب إِلَيّ شبْرًا تقربت إِلَيْهِ ذِرَاعا وَمن تقرب إِلَيّ ذِرَاعا تقربت إِلَيْهِ باعا وَمن أَتَانِي يمشي أَتَيْته هرولة "**»].

الشيخ: الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

الشيخ: فالمحبة كما سبق، محبة الله محبة تأله وخضوع وذل، ولابد أن تشتمل على الخوف والرجاء، يخاف ربه جل وعلا أن يعاقبه بذنوبه ويرجوا ثوابه ورحمته وعفوه، فيكون محبا لله جل وعلا حب خضوع وذل وعباده، وهذا شيء يخص الله، لا يجوز أن يشاركه المخلوق فيه، أما المحاب الأخرى فهي مثل ما سبق، أي تكمل محبة الله، لأنها تكون محبة له ومحبة فيه، مثل محبة الرسول ﷺ ومحبة من يطيع الله، ثم دليل هذه المحبة امتثال أمره واجتناب نهيه، فإذا رأيت الرجل حريصا على فعل ما أمره الله جل وعلا به، ومجتنبا لما نهاه الله عنه، فهذا عنوان المحبة أنه يحب ربه جل وعلا، وإذا رأيته متساهلا متهاونا، أو لا يبالي فتكون المحبة ضعيفة أو قد تكون معدومة لا وجود لها، والناس يتفاوتون في هذا تفاوت عظيم، فالمقصود أن المحبة لها دليل، ودليلها مثل ما قال الله جل وعلا:

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾، فالآية تدل على أن الذي لا يتبع الرسول ﷺ فإن الله لا يحبه، لهذا جاء التصريح في آيات، ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾، يقول الله جل وعلا: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾، والتحكيم تحكيمه في كل شيء، في العقائد وفي الأعمال وفي كل ما يقع الإنسان فيه، ولهذا قال: ﴿فيما شجر بينهم﴾، ومعنى شجر يعني ما حصل الخلاف فيه، فإذا لم يحكم الرسول ﷺ في الإتباع وفي الخلاف وفي العقائد وفي الأعمال كلها، فهو لم يحب ربه جل وعلا الحب الواجب الذي به ينجوا من عذاب الله، ولهذا قال: فإن دعوى هذه المحبة لله من جنس دعوى اليهود والنصارى، لأن ا ليهود والنصارى قالوا كما قال الله جل وعلا: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾، ولهذا رد عليهم بقوله: ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾، لو كنتم أحباب الله ما عذبكم، ولكنكم عصيتم الله فعذبكم بذنوبكم، فالدعوى غير مقبولة حتى يكون لها دليل، ثم ذكر أن من هذه الأمة من يكون أشر من اليهود والنصارى، فهم يدعون دعاوى مجردة عن الفعل وعم ما يكون في القلوب من أعمال القلوب التي هي من الخوف والرجاء والخشية والإنابة وغير ذلك، التي هي أصل الإسلام، ما يذكر الحديث هذا يقول: والله جل وعلا يبغض الكافرين ويمقتهم، يعني أن من خالف أمر الله جل وعلا وعصى رسله فهو يبغضه، والمقت هو أشد البغض وأعلاه، يبغضه ويمقته ويلعنهم أيضا، ويكون هو سبحانه يحب من يحبه،

ولكن يحبه بالفعل، بالإتباع إتباع رسوله وامتثال أمره واجتناب نهيه، ولهذا يقول جل وعلا: ﴿إن الله يحب المتقين﴾، ويحب المحسنين ويحب التوابين ويحب المتطهرين، والمتطهر قد يكون متطهرا طهرا كاملا، وقد يكون التطهر بالمياه لأن الطهارة من الأنجاس المعنوية مقدم على ذلك، فهو يحب المتطهر من الحدثين الحدث الذي هو مخالفة الله جل وعلا ومخالفة رسوله بالتوبة والرجوع إلى الله، ويحب المتطهر من الأحداث التي تعن للرجل تمنعه من الصلاة ونحوها، وكذلك كل الأفعال التي يفعلها إتباعا لأمره واجتنابا لنهيه، وذكر الحديث الذي يقول كما في الحديث الصحيح الإلهي، الإلهي نسبة إلى الله، يعني أنه قاله قولا منه، فالحديث الإلهي هو الحديث القدسي، يعني ما أضيف إلى الله قولا ومعنى، بخلاف الحديث النبوي فإنه ما أضيف إلى النبي ﷺ قولا ولفظا، ومعناه يكون من الله، لأن الله جل وعلا يقول: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى﴾، فأخبر أن كل ما ينطق به الرسول ﷺ فهو وحي، ولكن هذا لفظه ومعناه من الله جل وعلا، في الحديث الإلهي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»، وهذا الحديث اختلف العلماء فيه ومن معناه، لأنه ظاهر وواضح، منهم من يثبت هذه الأشياء لله جل وعلا أنه يتقرب إلى عبده بالمسافات وبالمشي وبالهرولة، وهذا بعيد، لأن قوله: «من تقرب إلي ذراعا، تقرب إلي شبرا، أتاني يمشي»، هذا معلوم أن العبد يتقرب إلى الله

بالطاعة، وليس بالمسافات والأذرع والأشبر والركض والمشي، وإنما هذا عبارة عن السرعة في فعل الطاعة والانقياد لها بالقوة أو بالضعف، على حسب ما يقوم في قلب الإنسان، وهذا القدر يعني الذي يتعلق بالعبد، تثقون على أنه هذا معناه، أنه يتقرر أن العبد يتقرب إلى الله بالطاعة وليس بالمسافات والأذرع وغيرها، فلما كان الناس يختلفون في هذا، منهم من يكون انقياده وطاعته كاملة، فيكون كالذي يركض بسرعة، ومنهم من يكون أقل من ذلك، وفي هذه جاء الاختلاف في هذا، ثم إذا جاءت المقابل يعني الذي أضيف إلى الله اختلفوا فيه، والحق أن المقابل لما يقوم بالعبد مثل الذي يقوم به، فإذا كان العبد يتقرب إلى ربه جل وعلا بالطاعات، فالله يتقرب إليه بما يناسب ذلك، يعني بالقبول والإثابة، وإسراع قبول التوبة وغيرها، ولا يكون فيه إثبات مشي ولا هرولة ولا غيره، وهذا هو ظاهر قول الرسول ﷺ، نعم.

القارئ: [وَقد أخبر الله سُبْحَانَهُ أَنه يحب الْمُتَّقِينَ والمحسنين وَالصَّابِرِينَ وَيُحب التوابين وَيُحب المتطهرين بل هُوَ يحب من فعل مَا أَمر بِهِ من وَاجِب ومستحب كَمَا فِي الحَدِيث الصَّحِيح: « لَا يزَال عَبدِي يتَقَرَّب إِلَيّ بالنوافل حَتَّى أحبه فَإِذا أحببته كنت سَمعه الَّذِي يسمع بِهِ وبصره الَّذِي يبصر بِهِ » الحَدِيث].

الشيخ: يعني وهذا الحديث أيضا أشكل على كثير من الناس، «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل»، وهذا يعني بعد أداء الفرائض، لأنه في الحديث: «إن الله لا يقبل من العبد النوافل حتى يؤدي ما افترض عليه»، وفي الحديث الآخر «أحب

ما يتقرب به العبد ما افترض الله عليه»، أو نحو هذا، فالفرض هو الـذي يجـب أن يعتنى به أكثر من النوافل، أما كونه يعتني بالنوافل ويقصر في الفرائض فهـذا إما من قلة فهمه وفقهه، أو أنه بحيث لا يبـالي بـذلك، بـل إنـه يفعـل الأشـياء حسب قراره وحسب ميولـه، هـذا يكـون مقـصرا في العلـم وفي العمـل، وإذا تقرب الإنسان، «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل»، يعني بعد أداء الفـرائض، لأن النوافل لا تقبل حتى تؤدى الفرائض، وأحب ما يتقرب العبـد إلى ربـه مـا افترضه الله عليه،يقول: « حتى أحبه»، يعني أنه يفعل النافلة، والنافلـة هـو كـل عمل صالح لم يفترض عليه، وهذا أنواع، لأن أبواب الخير واسعة وكثيرة جدا، من الصلاة والصدقات والـذكر وتـلاوة القـرآن، وإرشـاد النـاس وتعلـيمهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر حسب ما أمر الله جـل وعـلا بـه، والبـاب واسع وأبواب الخير كثيرة، لهذا يقول ﷺ في حديث معاذ: «ألا أدلك على أبواب الخير»، أبوب الخير، إذا كان الخير له أبواب فإذا دخل الإنسان مع الباب فطرقـه كثيرة جدا، قال له : بلى: قال: «الصوم جنة»، الـصوم يعنـي نـوع الـصوم جنـة معناه ستر تستتر به ووقاية تتقي بها عذاب الله جل وعلا، وقال: «وصدقة الـسر تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النـار»، يعنـي هـذا نـوع والأول نـوع، ثـم قـال: «وصلاة المرء في جوف الليل»، يعني أنها تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، ثـم قال له: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه»، قلت بلى، قـال: «رأس الأمر الإسلام وعموه الصلاة وذروة سـنامه الجهـاد في سـبيل الله، ثـم قـال: ألا

أخبرك بملاك ذلك كله»، ملاك الشيء هو الذي تستطيع أن تملك هذه الأبواب وتسيطر عليها، قلت: بلى، قال: « **كف عليك لسانك»**، فقلت: أفنؤاخذ بما نتكلم به؟ قال: «**ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم أو قال على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»**، لأن هذا يدخل في الأبواب كلها، فإذا رأيت الرجل مثلا يراعي كلامه ولا يتكلم إلا بالشيء الذي ينفع فمعنى ذلك أنه مالك لأمره، ومراع لأعماله ومحاسب لنفسه، ومراقب لربه جل وعلا، إلا إذا كان يطلق لسانه في كل شيء، فقد مثلا يقع في أشياء كثيرة فيها غوائل تغتاله، فالمقصود أن قوله: «**لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»**، هذا صريح في أن الله يحب العبد، ولكن يحب من يطيعه، وكل ما كثر في الطاعة ازداد حب الله له، يقول: «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره إساءته»**، نقول: هذه فيها إشكالات عند بعض الناس، كيف الله يكون السمع ويكون البصر ويكون اليد ويكون الرجل، ثم كيف يتردد؟ والرسول ﷺ إذا تكلم بشيء فهو يتكلم ببيان واضح لا إشكال فيه، ولكن يجب أن يتحقق، ولا يحمل على الشيء الذي يصطلح عليه الناس، ويكون فيما بينهم يتعارفون إليه فقط، ولا ينظرون إلى لغة الرسول ﷺ، فمعنى قوله: «**كنت بصره الذي يبصر به»**، يعني أنه يصبح بصره لله إذا نظر فهو ينظر لله إما مفكرا ومعتبرا

بمخلوقات الله جل وعلا، وإما جالبا بنظره طاعة الله، ولا ينظر إلى معصية، وكذلك السمع يستمع السمع ما ينفعه، وهذا كله بتوفيق الله، إذا كان العبد هكذا صار مثلا نظره طاعة، وبصره طاعة، وصار عطائه وأخذه بيده طاعة لله، ومشيه برجله طاعة لله، وتصبح تصرفاته كلها طاعة، وهذا معنى قول يبصر بالله ويسمع بالله ويبطش بالله، ثم تردد فسر، الآن نقول أنه كما يقول بعض الناس صفة التردد، لا يجوز أن يقال: صفة التردد، ولهذا فسره الرسول بقوله: «يكره الموت وأنا أكره مسائته ولابد له منه»، فهذا التردد الذي فسر بهذا، يعني أن يفعل الشيء الذي يكرهه، ولكن لابد من فعله لأن هذه الحياة ليست مقر، بل هي ممر، ولابد من الموت ومقدماته من مرض وغيره، فيكون واضحا ليس فيه إشكال نعم.

القارئ: [وَكثير من المخطئين الَّذين ابتدعوا أَشْيَاء فِي الزّهْد وَالْعِبَادَة وَقَعُوا فِي بعض مَا وَقع فِيهِ النَّصَارَى من دَعْوَى الْمحبَّة لله مَعَ مُخَالفَة شَرِيعَته وَترك المجاهدة فِي سَبيله وَنَحْو ذَلِك ويتمسكون فِي الدَّين الَّذِي يَتَقَرَّبُون بِهِ إِلَى الله بِنَحْوِ مَا تمسك بِهِ النَّصَارَى من الْكَلَام الْمُتَشَابه والحكايات الَّتِي لَا يعرف صدق قَائِلهَا وَلَو صدق لم يكن قَائِلهَا مَعْصُوما فيجعلون متبوعيهم شارعين لَهُم دينا كَمَا جعل النَّصَارَى قسيسيهم وَرُهْبَانهمْ شارعين لَهُم دينا].

الشيخ: يعني أن بعض الكلمات التي يقولونها ويدعونها لا تدل على الحقيقة، يكون فيه كذب، كالذي يقول: أنا لا أعبد الله خوفا من النار ولا طمعا في

الجنة، وإنما أعبده حبا له، وآخر يقول: لو كنت أعبد الله جل وعلا لأجل الجنة أو خوفا من النار، يسأل الله أن يحرقه بالنار، وهذا كذب في الواقع، كذب ظاهر كل يعرف أنه كذب، مثلا لو وضع الإنسان في النار ما استطاع أنه يصبر، بل إذا أصيب بألم تجده يسرع بطلب الشفاء، وأخذ العلاج ودعاء الله أن الله يشفيه، فالإنسان ضعيف، ولكن الدعاوي عريضة، يدعي دعاوي هو فيها كاذب مثل هذه، وإلا لو كان الأمر كما يقول، ولماذا ربنا جل وعلا يكثر من ذكر الجنة والنار والنعيم والعذاب وهذه الأشياء؟ حتى يكون هذا مانع من اقتراف المعاصي وداعيا للطاعات، فهو ترهيب وترغيب، الإنسان محتاج إلى هذا، فهو في أمس الحاجة إلى ذلك، وإنما على العبد العاقل أن يسأل ربه العافية دائما، في الدنيا والآخرة، كما قال الرسول ﷺ: «**أفضل ما سألتم الله العافية**»، أو نحو هذا، فالله يعافي الإنسان من الألم ومن الفتنة ومن غير ذلك، فهو ضعيف الإنسان ضعيف لابد له من العمل والسبب الذي يقيه من المؤذيات والمؤلمات، ولابد له من الشيء الذي يفرح به ويتنعم به، وإلا هلك، فالمقصود أن الإنسان ظلوم جهول، يجهل الأشياء ثم هو يظلم نفسه، يجهل ربه ويجهل كما قال الله جل وعلا: ﴿**يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم**﴾، فهو غرور جهول وظلوم، ومعلوم أنه إذا اجتمعت هذه الصفات في الإنسان فإنها قد تهلكه إن لم يتداركه الله جل وعلا برحمة منه نعم .

القارئ: [ثمَّ إِنَّهُم ينتقصون الْعُبُودِيَّة وَيدعونَ أَن الْخَاصَّة يتعدونها كَمَا يَدعِي النَّصَارَى فِي الْمَسِيح والقساوسة ويثبتون لخاصتهم من الْمُشَاركَة فِي الله من جنس مَا تثبته النَّصَارَى فِي الْمَسِيح وَأمه والقسيسين والرهبان إِلَى أَنْوَاع أخر يطول شرحها فِي هَذَا الْموضع].

الشيخ: يعني يقصد بهذا أنهم يقسمون الشرع إلى ظاهر وإلى باطن، فيقولون مثلا: العبادات الظاهرة مثل الصلاة والصوم والحج وما أشبه ذلك، يقولون: هذه مهمة الناس الذين يأخذون بالظاهر، وهي طريقة العوام، وأما الخواص فهم من وراء ذلك كله يأخذون بالبواطن والأمور التي يفسرونها بأنها هي الخلاصة، والشرع ليس فيه ظاهر وباطن، فالرسول ﷺ أخبرنا أن دخول الجنة يترتب على إقامة الصلاة، شهادة أن لا إله إلا الله أو عبادة الله وحده لا شريك له، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج، هذه الأمور الخمسة من قام بها فهو من أهل الجنة، ولم يذكر الأمور التي يقولونها ويجعلونها هي الأساس، في الواقع أنهم يخالفون للشرع وما جاء به الرسول ﷺ، مخالفة ظاهرة، نعم.

القارئ: [وَإِنَّمَا الدَّين الْحق هُوَ تَحْقِيق الْعُبُودِيَّة لله بِكُل وَجه وَهُوَ تَحْقِيق محبَّة الله بِكُل دَرَجَة وبقدر تَكْمِيل الْعُبُودِيَّة تكمل محبَّة العَبْد لرَبه وتكمل محبَّة الرب لعَبْدِهِ وبقدر نقص هَذَا يكون نقص هَذَا وَكلما كَانَ فِي الْقلب حب لغير الله كَانَت فِيهِ عبودية لغير الله بِحَسب ذَلِك].

الشيخ: وسبق أن العبودية أنها فرض على كل عاقل، كل مكلف، وأن العبودية لا تكون إلا بما جاء به الرسول ﷺ، فإذا تعبد الإنسان بغير ما جاء به المصطفى ﷺ فهو مبتدع ضال، والبدع كلها ضلال، فلا تقبل من العبد، بل تكون طريقه وسلوكه مما هو سبب لعذابه وبعده عن الله، وإن ادعى أنه يحب الله، لأن الدعوة لا تقبل إلا بدليل كما سبق نعم.

القارئ: [وكل محبَّة لَا تكون لله فَهِيَ بَاطِلَة وكل عمل لَا يُرَاد بِهِ وَجه الله فَهُوَ بَاطِل فـ " الدُّنْيَا ملعونة مَلْعُون مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ لله " وَلَا يكون لله إِلَّا مَا أحبه الله وَرَسُوله وَهُوَ الْمَشْرُوع].

الشيخ: يعني أن الملعون ما كان مخالفا لدين الله وشرعه، ولهذا قال: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله»، فالله جل وعلا شرع لعباده الشرائع وأمره بعباده، فيكون الملعون الكفر والبدع والمخالفات، ومن يعتنق هذا، لا يكون في هذا مثلا متمسك بمن يزعم بأن الملعون المال والملعون التعلق بالدنيا، وغيرها مما قد يشغل ويلهي، لأن هذا أباحه الله لنا، ﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا خالصة يوم القيامة﴾، يعني لهم خالصة، أما في هذه الدنيا فيشاركهم فيها الكفار، وهي ليست لهم، ولهذا إذا تغلب عليهم المؤمنون أخذوا الأموال وهي حل لهم، ويسمى هذا فيء، إذا تركوه خوفا من المسلمين، والفيء هو الرجوع، يعني رجع إلى محله، فهو أول عند من لا يستحق، لأنهم يأكلون نعم الله ويتقوون بها على معاصيه، وعلى

الكفر به، فالمعصية على معصية، فالمقصود أن هذا لا يشمل الأمور المباحة التي أباحها الله جل وعلا، كما يقوله بعض الذين لا يفهمون كتاب الله وخطاب رسوله ﷺ، فاللعن الظاهر، فاللعن هو الطرد والإبعاد عن الرحمة والخير، فالدنيا الملعونة هي الكفر والبدع والضلالات التي فيها، أما ما كان يقصد به الآخرة، وما شرعه الله وما أباحه الله، فلا يدخل في هذا، لهذا من السنن التي أمرنا بها وهي مستحبة، نسأل ربنا نقول: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ومن الأمور الواجبة أننا نطلب الرزق، ونطلبه من الله، ﴿وابتغوا عند الله الرزق واعبدوه﴾، كيف يعني يقدم الرزق على العبادة؟ لأن طلب الرزق عبادة، فإذا أهمل الإنسان الواجب عليه من يعني الغذاء له الذي يتغذى به أو لأبنائه ومن تحت يده، فهو مسئول عن هذا وظالم، سوف يسئل عن ذلك، وكفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول، غير أن هذا من كونه فطر الإنسان عليه، يجب أن يكون عند الإنسان نية وقصد حسن، حتى يثاب على هذا، أنه مثلا إذا طلب الرزق وأكل أنه ينوي أنه يتقوى بهذا على طاعة الله، ويكف نفسه عن التطلع لما في أيدي الناس، فإذا كانت هذه نيته وهذا مقصودهن صار أكله حسنات يثاب عليه، وكذلك النوم، إذا نام ينوي بذلك أنه يتقوى على أداء الفرض الذي فرض عليه وهو صلاة الفجر، يقوم بنشاط ويؤديها، ويكف سمعه وبصره عن النظر إلى ما لا يجوز، وإذا كان هذه نيته، فيكون نومه عبادة، أما إذا غفل عن ذلك صار النوم والأكل مباح، والمباح ليس

لك ولا عليك، يعني لا تؤاخذ به ولا تثاب عليه، فالمقصود أن اللعن الذي قد يشكل على بعض الناس، لا يدخل في الأمور المباحة التي أباحها الله جل وعلا، وأمر أن نطلبها منه جل وعلا، قد تكون هذه قد تكون واجبة وقد تكون مباحة فقط نعم.

القارئ: [فَكل عمل أُرِيد بِهِ غير الله لم يكن لله وكل عمل لَا يُوَافق شرع الله لم يكن لله بل لَا يكون لله إِلَّا مَا جمع الوصفين: أَن يكون لله وَأَن يكون مُوَافقا لمحبة الله وَرَسُوله].

الشيخ: يعني يكون موافقا للشرع الذي جاء به الرسول، هذا في العبادات كلها، وكل فعل أو قول أو عمل أو اعتقاد لا يوافق ما جاء به الرسول فهو مردود، نعم.

القارئ: [وهو الواجب والمستحب كما قال تعالى].

الشيخ: وهو الواجب لأنه ينقسم إلى قسمين، ينقسم إلى واجب ومستحب، أما المباح لا يدخله هذا إلا بالنية، إذا نوى الإنسان الخير حصل له، نعم.

القارئ: [كَمَا قَالَ تَعَالَى [١١٠ الْكَهْف] : ﴿فَمن كَانَ يَرْجُو لِقَاء ربه فليعمل عملا صَالحا وَلَا يُشْرك بِعبَادة ربه أحدا﴾].

الشيخ: العمل الصالح هو ما وافق الشرع، والشرك الثاني لا يشرك بعبادة ربه أحدا.

القارئ: [فَلَا بُد من الْعَمَل الصَّالح وَهُوَ الْوَاجِب وَالْمُسْتَحب وَلَا بُد أَن يكون خَالِصا لوجه الله تَعَالَى كَمَا قَالَ تَعَالَى [١١٢ الْبَقَرَة] : ﴿بلَى من أسلم وَجهه لله وَهُوَ محسن فَلهُ أجره عِنْد ربه وَلَا خوف عَلَيْهِم وَلَا هم يَحْزَنُونَ﴾ . وَقَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: « من عمل عملا لَيْسَ عَلَيْهِ أمرنَا فَهُوَ رد » وَقَالَ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: « إِنَّمَا الْأَعْمَال بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لكل امْرِئ مَا نوى فَمن كَانَت هجرته إِلَى الله وَرَسُوله فَهجرَته إِلَى الله وَرَسُوله وَمن كَانَت هجرته لدُنْيَا يُصِيبهَا أَو امْرَأَة يَتَزَوَّجهَا فَهجرَته إِلَى مَا هَاجر إِلَيْهِ »].

الشيخ: هذان الحديثان حديث عائشة في صحيح مسلم: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»، رواه البخاري من غير هذا الطريق، وحديث عمر: «إنما الأعمال بالنيات» إلى آخره، يقول العلماء: هذان اشتملا كل ما جاء به الرسول ﷺ، فالأول ميزان للأعمال الظاهرة التي تعمل بالجوارح، والثاني للأعمال الباطنة التي هي أصل الأعمال كلها، كل عمل لابد أن يكون أصله النية، فالنية هي أعمال القلوب ومراداتها، ولهذا قال جل وعلا: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾، وهذا الحديث له سبب، والحديث كثير من الأحاديث له أسباب، ولكن هذا سببه قد جاء مرويا فيه نفس القصة، وهو أن رجلا خطب امرأة في مكة، فأبت عليه وقالت: حتى تهاجر، إن هاجرت فلا بأس، وإن لم تهاجر، فهاجر، فذكر

ذلك للنبي ﷺ وهذه المرأة يقال لها: أم قيس فقال هـذا الحـديث: «**إنـما الأعـمال بالنيات وإنما لكـل امـرئ مـا نـوى**»، فجعـل الأعـمال كلهـا معتـبرة بالنيـات، وصحتها بالنيات، واعتبارها شرعا بالنية، لأنه قال: «**من كانـت هجرتـه إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله**»، يعني أنه تحصل على مراده ومقـصوده، «**وإن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هـاجر إليـه**»، يعنـي ليس له من الأجر والثواب إلا ما نوى، فالمقـصود أن الأعـمال الظـاهرة مبناهـا على الأعمال الباطنة التي في القلب، لأن القلب هو الذي يبعث الجوارح، ولهـذا سماه الرسول ﷺ ملك الأعضاء، فالملك هو الذي يأمر الجنود ويمتثلون لأمـره، فالأعضاء جنود للملك، والمقصود يعني عقل الإنسان وفكره الذي يـدعوه إلى العمل، ولابد للعاقل من ذلك، كما سبق، أن الذي يبعث على العمل هـو النيـة، وإذا قام الإنسان يتوضأ، الذي أقامه نية الوضوء، وإذا جاء إلى المسجد، فمجيئه الذي جاء به هو النية أولا سبقت الفعل، ولهذا قال العلماء: النية محلهـا القلـب، والتلفظ بها بدعة، لا يتلفظ بها كما يقول بعض الناس إذا قام ليصلي قال: اللهـم إني نويت أن أفعل كذا وكذا، فهذا قوله نويت يعني يعلم ربه بـما في قلبـه، هـذا مخالف لشرع النبي ﷺ، المقصود أنه لابد للإنسان في العمل أن يكون عمله عـلى وفق الشرع، وأن يكون خالصا لله جـل وعـلا، وهـذان شرطـان في كـل عمـل يعمله، ولا يقبل العمل بدون ذلك نعم.

القارئ: [وَهَذَا الأَصْل هُوَ أصل الدِّين وبحسب تَحْقِيقه يكون تَحْقِيق الدِّين وَبِه أرسل الله الرُّسُل وَأنزل الْكتب وَإِلَيْهِ دَعَا الرَّسُول وَعَلِيهِ جَاهد وَبِه أَمر وَفِيه رغب وَهُوَ قطب الدِّين الَّذِي تَدور عَلَيْهِ رحاه].

الشيخ: والقطب هو الذي يجعل في وسط الرحا لتدور عليه، أو مثلا يسمى الغية، التي تركز في الأرض ثم يجعل فيها حبل طويل، وتربط بالدابة في هذا الحبل وترعى مما حولها وهي تدور على هذه الغية، وهي القطب، ولهذا يسمى الأفلاك التي تدور عليها بقية الأفلاك تسمى قطب، والأفلاك التي في السماء الظاهرة التي تشاهد تدور على قطبين، قطب يمين وقطب شمال، فهي مشاهدة، إلا أن الذي جهة الجنوب بعيد لا نشاهده، أما جهة الشمال فهو قريب لنا ونشاهده، فالنجوم تدور عليه ولهذا يسمى قطب، فالقطب هو الشيء الذي يدور عليه ما جعل دائرا على هذا الشيء، ومعنى ذلك أن الشرع الذي شرعه الرسول أمره قطب، والنية قطب، أن تكون النية خالصة صالحة، يراد بها وجه الله جل وعلا، نعم.

القارئ: [والشرك غَالب على النُّفُوس وَهُوَ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث: «هُوَ فِي هَذِه الْأمة " أخْفى من دَبِيب النَّمْل»،].

الشيخ: غالب على النفوس، ولهذا كثر الشرك في الناس، في الأمم السابقة وفي هذه الأمة، وهو أنواع كثيرة جدا، ولهذا أخبر أنه منه ما هو خفي، حتى مثل بما هو أخفى شيء، وهو دبيب النمل على الصفا وفي ظلمة الليل من يشعر بهذا؟

هذا خفي جدا، وهو شرك النيات والمقاصد، لأن هذا يطلع عليه رب العالمين جل وعلا.

القارئ: [وَفِي حَدِيث آخر: قَالَ أَبُو بكر: يَا رَسُول الله كَيفَ ننجو مِنْهُ وَهُوَ أَخْفى من دَبِيب النَّمْل؟ فَقَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: « **أعلمك كلمة إِذا قلتهَا نجوت من دقه وجله قل: اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذ بك أَن أشرك بك وَأَنا أعلم وأستغفرك لما لَا أعلم** »].

الشيخ: ويجب أن يقول هذا مع صدق في قلبه وامتثال لأمر ربه، ولجوء صادق إلى ربه جل وعلا، حتى يعيذه من ذلك، أما مجرد قول وهو يفعل هذا الشيء لا ينفع نعم.

القارئ: [وَكَانَ عمر يَقُول فِي دُعَائِهِ: (اللَّهُمَّ اجْعَل عَمَلي كُله صَالحا واجعله لوجهك خَالِصا وَلَا تجْعَل لأحد فِيهِ شَيْئا) .

وَكَثِيرًا مَا يخالط النُّفُوس من الشَّهَوَات الْخفية مَا يفْسد عَلَيْهَا تَحْقِيق محبتها لله وعبوديتها لَهُ وإخلاص دينهَا لَهُ كَمَا قَالَ شَدَّاد بن أَوْس: يَا بقايا الْعَرَب يَا بقايا الْعَرَب إِن أخوف مَا أَخَاف عَلَيْكُم الرِّيَاء والشهوة الْخفية].

الشيخ: الشهوة الخفية هي حب الرياسة والعلو على الناس والترأس عليهم، والحظية بمدحهم والثناء عليهم وإشارتهم إليه، فلان فيه كذا، وفلان فيه كذا وهو الذي يحسن كذا، فهذا من الشهوات الخفية، ولهذا السبب نهى رسول الله ﷺ عن المدح في الوجه، أو ا لمدح مطلقا، لأن الإنسان قد يغتر بالمدح، قال:

«أحثوا التراب في وجوه المداحين»، لأن المدح في الغالب أنه يكون كذب، وإذا مدحت في وجهك، فاعلم أن الذي مدحك سوف يذمك في غيبتك، ولهذا من الحكم التي تناقلها العلماء، من تكلم في حضرتك ما ليس فيك، فسيتكلم في غيبتك بما ليس فيك، ولهذا يقولون عن الواقع، والمقصود أن الترأس والترفع عن الناس هذا النفس تحبه وتميل إليه، ولهذا تحتاج إلى مجاهدة، أنها تجاهد في هذا حتى إن الإنسان قد يغالط نفسه، إذا جاءه من يثني عليه ويمدحه وإن كان هو أعلم، الممدوح أعلى من المادح في نفسه، ربما تجده يقول: لعلي كما يقولون، ثم يميل إلى قولهم، هذا يترتب عليه مفاسد كثيرة، وعلى كل حال الإنسان ضعيف، لهذا لما سمع الرسول ﷺ رجلا يثني على آخر قال: «ويلك قطعت عنقه إن كنت فاعلا ولابد فلا يسمعك»، أو قال: «إذا أثنى أحدكم على الآخر فليقل أحسبه كذا وكذا والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدا»، فالمقصود أن طبيعة الإنسان وما جبل عليه أنه يحب أنه يترفع على الناس، وأن الناس يثنون عليه، ويمدحونه حتى تحظى نفسه بالتقديم في المجالس وفي الكلام وفي غير ذلك، وكل هذا من شهوات النفوس التي لا تنفع بل تضر، ولا تنفع الإنسان، والنفس تحتاج إلى جهاد، إن لم تجاهد ويعرف الإنسان قدر النفس وخفاياها وغوائها يقع في ذلك وهو لا يشعر نعم.

القارئ: [وَقيل لأبي دَاوُد السجسْتانِي: وَمَا الشَّهْوَة الْخفية؟ قَالَ: حب الرِّئَاسَة].

الشيخ: الرئاسة مطلقا يعني الترفع عن الناس مطلقا، يعني لا يلزم أن يكون رئيس كبير، يعني إذا كان رئيس قوم أو مقدم عند قوم، ولو كانوا جماعة قليلة فهذا منه يدخل فيه نعم.

القارئ: [وَعَن كَعْب بن مَالك عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ: « **مَا ذئبان جائعان أرسلا فِي زريبة غنم بأفسد لَهَا من حرص الْمَرْء على الْمَال والشرف لدينِهِ** » قَالَ التِّرْمِذِيّ: حَدِيث حسن صَحِيح].

الشيخ: الزريبة زريبة الغنم هي ما تجتمع الغنم فيه، مثل الحظائر التي تبنى إما بشجر أو بما يمنعها من الذهاب، فإذا اجتمعت وجاءها ذئبان جائعان لا يتركان فيها شيء، لأن طبيعة الذئب لا يأخذ الشيء الذي يكفيه، يقتل الغنم كلها، لا يقتل الشيء الذي يقتله فقط، لأنه يتركها له فيما بعد يتردد عليها، حتى يقتاتها في أوقات طويلة، وهذا شيء مجرب، إذا وجد الذئب الغنم ليس معها أحد أفسدها أكلها كلها، فإذا كان ذئبان جائعان معناهما أنهما يحيطان بالغنم، ولا يند منها شيء، لذا يقول: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**»، والشرف هو الرئاسة، والمال قد يستولي على النفس حبه ويترك ما وجب عليه، فيجب أن يكون هذا كله طلبه باعتدال، وبإتباع لأمر الله جل وعلا، نعم.

القارئ: [قَالَ التِّرْمِذِيّ: حَدِيث حسن صَحِيح].

الشيخ: هذا الحديث شرحه ابن رجب رحمه الله برسالة، وهي رسالة جيدة في الواقع ينبغي أنها تقرأ نعم.

القارئ: [فَبين صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَن الْحِرْص على الْمَال والشرف فِي إِفْسَاد الدِّين لَا ينقص عَن إِفْسَاد الذئبين الجائعين لزريبة الْغنم وَذَلِكَ بيّن فَإِن الدِّين السَّلِيم لَا يكون فِيهِ هَذَا الْحِرْص وَذَلِكَ أَن الْقلب إِذا ذاق حلاوة عبوديته لله ومحبته لَهُ لم يكن شَيْء أحب إِلَيْهِ من ذَلِك حَتَّى يقدمهُ عَلَيْهِ وَبِذَلِك يصرف عَن أهل الْإِخْلَاص لله السوء والفحشاء كَمَا قَالَ تَعَالَى [٢٤ يُوسُف] : ﴿كَذَلِك لنصرف عَنهُ السوء والفحشاء إِنَّه من عبادنَا المخلصين﴾] .

الشيخ: تقدمت هذه الآية الكلام عليها في السابق، وهي في آخرها قراءتان المخلصين والمخلصين وكلاهما حق، والمخلص هو الذي أخلص لله جل وعلا أعماله فصارت خافية خالصة ليس فيها شيء لغيره، والإخلاص هو المنجي، حتى إن الكفار المشركين كانوا إذا وقعوا في شدة أخلصوا لله فنجوا نجاهم، كما قال الله جل وعلا: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾، فالإخلاص هو المفزع الذي يفزع إليه، غير العقلاء إذا وقعوا في أمر عظيم، ومن هذا حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فانطبقت عليهم السخرة، فدعوا الله بأعمالهم الصالحة الخالصة لله، فنجاهم الله جل علا، والقراءة الأخرى المخلصين، الذين اختارهم الله جل وعلا

وجعلهم خلاصة الناس وخلاصة العباد، فهم من اختيار الله وجل علا، وهاتين القراءتين تنطبق على يوسف عليه السلام، والسوء يكون عاما في كل ما يسوء الإنسان عاقبته، والذنوب كلها عاقبتها تسوء الإنسان، أما الفحشاء فالغالب أنه يطلق على الزنا وما يجلب إليه، فهو لأنه فحش في نفوس أهل الاستقامة، هو من أقبح الأشياء وأفحشها، لهذا قال الله جل وعلا: ﴿إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾، لأن سبيله سبيل سيء خبيث نعم.

القارئ: [فَإِن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله مَا يمنعهُ عَن عبوديته لغيره وَمن حلاوة محبته لله مَا يمنعهُ عَن محبَّة غَيره إِذْ لَيْسَ عِنْد الْقلب السَّلِيم أحلى وَلَا ألذ وَلَا أطيب وَلَا أسر وَلَا أنعم من حلاوة الْإِيمَان المتضمن عبوديته لله ومحبته لَهُ وإخلاص الدِّين لَهُ].

الشيخ: يعني هذا في الدنيا، يجد الإنسان إذا كانت عبادته خالصة وصادقة، يجد لذة وراحة، وكان السلف الذين يعرفون هذه الأمور ويتقون بها، يقول: أكره إليه أن يطلع الصبح، لأنه يتعبد ويتهجد ويخلوا بربه، يود أن الليل يمتد ويطول، حتى يطول صلته بربه وخلوته به، بعضهم يقول إذا كان في مثل هذه يقول: إذا كان أهل الجنة في مثل هذا النعيم فهم في نعيم عظيم، وهذا الذي يشير بعض الناس وبعض العلماء وبعض الذين يتعبدون بالحق، إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، ومقصوده جنة التلذذ بطاعة الله جل

وعلا والأنس به وبقربه وعبادته، ولهذا ينكر بعضهم أن تكون العبادات تكاليف، يقول: ليست تكاليف بل هي نعيم، نعيم القلوب، ولكن ما كل يدرك هذا نعم.

القارئ: [وَذَلِكَ يَقْتَضِي انجذاب الْقلب إِلَى الله فَيصير الْقلب منيبا إِلَى الله خَائفًا مِنْهُ رَاغِبًا رَاهِبًا كَمَا قَالَ تَعَالَى [٣٣ ق] : ﴿من خشِي الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بقلب منيب﴾].

الشيخ: الإنابة هي كمال الطاعة والانقياد، يعني ينقاد إلى ربه انقيادا كاملا، والخشية تتضمن الخوف والرجاء، في ضمنها يخاف، وفي أيضا يعني معناها الخوف وفي ضمنها الرجاء، فجعل هذا لله، وخشي الرحمن بالغيب، بالغيب يعني الله لا يشاهد، وإنما بالأخبار التي جاءت منه، واتبعها نعم.

القارئ: [إِذْ المُحب يخَاف من زَوَال مَطْلُوبه أَو حُصُول مرغوبه فَلَا يكون عبد الله ومحبه إِلَّا بَين خوف ورجاء كَمَا قَالَ تَعَالَى [٥٧ الْإِسْرَاء] : ﴿أُولَئِكَ الَّذين يدعونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبهم الْوَسِيلَة أَيهمْ أقرب ويرجون رَحمته وَيَخَافُونَ عَذَابه إِن عَذَاب رَبك كَانَ محذورا﴾] .

الشيخ: الآية تدل على أن التنافس في الطاعة أنه مطلوب، لقوله: ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾، والوسيلة ليست التي يقولها الناس وهي التعلق بالمخلوق، أو

سؤال المخلوق، هذا شرك، فلا يكون وسيلة إلى الله، بل يكون هذا قاطعا عن الله، وإنما الوسيلة الطاعة، الطاعات التي تقرب إلى الله، كل طاعة أمر الله بها وجاء بها الرسول فهي الوسيلة التي توصل إلى مرضاة الله جل وعلا وإلى ثوابه، وقولهم: أيهم أقرب، يعني كل واحد يريد أن يكون أقرب إلى الله من الآخر، فهذا الذي يدل على المنافسة في الطاعة، ينبغي أن نتنافس فيها، لا يكون فلان أعلم منك درجة، بل ينبغي أنك تسعى وتعمل وتنافس في درجة الآخرة، بخلاف الدنيا فإن التنافس فيها مذموم، لأنه يلهي عن الآخرة، ويقطع عن العمل الذي يكون فيه رفعة العامل عند الله جل وعلا غالبا نعم، يقول: ويخافون عذابه، يرجون رحمته ويخافون عذابه، هذا لابد منه في التعبد، ولهذا يسمى هذا ركنا العبادة، الرجاء والخوف، ويجب أن يكون الأمر متعادل أو الرجاء أرجح، والخوف لا يجوز أن يكون متعديا في المشروع، لأن الخوف يجب أن يكون مانعا من ترك الواجب واقتراف المحرم فقط، ولا يزيد عن هذا، فإن زاد عن هذا صار يأس، وصار مذموما لا يجوز أن الإنسان يفعله، لأن رحمة الله جل وعلا أوسع من غضبه، والخوف لا يخاف الإنسان أن الله يحيف عليه أو يمنعه شيئا يستحقه، وإنما يجب أن يخاف من ذنوبه فقط، والمقصود أن الخوف يعني حده، أن يمنع الإنسان من ترك ما وجب عليه، أو فعل ما حرم عليه، ولا يزيد على ذلك نعم.

القارئ: [وَإِذا كَانَ العَبْد مخلصا لله اجتباه ربه فأحيا قلبه واجتذبه إِلَيْهِ فَيَنْصَرِف عَنهُ مَا يضاد ذَلِك من السوء والفحشاء وَيخَاف من حُصُول ضد ذَلِك بِخِلَاف الْقلب الَّذِي لم يخلص لله فَإِن فِيهِ طلبا وَإِرَادَة وحبا مُطلقًا فيهوى مَا يسنح لَهُ ويتشبث بِمَا يهواه كالغصن أَي نسيم مر بِهِ عطفه وأماله فَتَارَة تجتذبه الصُّور الْمُحرمَة وَغير الْمُحرمَة فَيبقى أَسِيرًا عبدا لمن لَو اتَّخذهُ هُوَ عبدا لَهُ لَكَانَ ذَلِك عَيْبا ونقصا وذما].

الشيخ: المحرمة، الصور المحرمة يعني الشيء الممنوع عليه من جانب المرأة الأجنبية أو غيرها، أو غير المحرمة كالزوجة مثلا، لا يجوز أن تصده عن طاعة الله، وأن تلهيه عما أوجب الله عليه، فإن كانت كذلك فهذا مذموم، فيكون أسيرا وعبدا لذلك الذي اتخذه واستولى على قلبه وصار عمله تبعا لذلك، أو ينقص تنقص عبادته حسب ما قام بقلبه من نقص عبودية الله جل وعلا، وطاعته وإتباع أمره واجتناب نهيه، لأنه إذا كان مثلا الأشياء هذه تجذبه وتستولي على شيء من قلبه، فلابد أن يترك شيئا من الواجب، ويفعل شيئا من المحرامات نعم.

القارئ: [وَتارَة يجتذبه الشّرف والرئاسة فترضيه الْكَلِمَة وتغضبه الْكَلِمَة ويستعبده من يثني عَلَيْهِ وَلَو بِالْبَاطِلِ ويعادي من يذمه وَلَو بِالْحَقِّ.

وَتارَة يستعبده الدِّرْهَم وَالدِّينَار وأمثال ذَلِك من الْأُمُور الَّتِي تستعبد الْقُلُوب والقلوب تهواها فيتخذ إِلَهًا هَوَاهُ وَيتبع هَوَاهُ بِغَيْر هدى من الله.

وَمن لم يكن خَالِصا لله عبدا لَهُ قد صَار قلبه معبدًا لرَبه وَحده لَا شريك لَهُ بِحَيْثُ يكون الله أحب إِلَيْهِ من كل مَا سواهُ].

الشيخ: ومن لم يكن خالصا لله عبدا له قد صار قلبه، هذا تابعا للكلام الأول، ووجود مثلا الفاصلة هذه ما يجوز، لأن الفاصلة تجعل الكلام غير متصل، وهذا من تمام الكلام، ومن لم يكن خالصا لله عبدا لله قد صار قلبه معبد لربه وحده لا شريك له، حيث يكون الله أحب إليه، كل هذا كلام يصير واحد ما أتى الخبر نعم.

القارئ: [بِحَيْثُ يكون الله أحب إِلَيْهِ من كل مَا سواهُ وَيكون ذليلا لَهُ خاضعا وَإِلَّا استعبدته الكائنات واستولت على قلبه الشَّيَاطِين فَكَانَ من الغاوين].

الشيخ: وإلا هذا هو الخبر، يعني وإن لم يكن كذلك استعبدته الكائنات، الكائنات يعني المخلوقات كلها، سواء كانت ممن حل أو مما حرم، ومعلوم التفاوت في هذا نعم.

القارئ: [فَكَانَ من الغاوين إخْوَان الشَّيَاطِين وَصَارَ فِيهِ من السوء والفحشاء مَا لَا يُعلمهُ إِلَّا الله. وَهَذَا أَمر ضَرُورِيّ لَا حِيلَة فِيهِ].

الشيخ: ضروري يعني الناس ما يخرجون عن هذا الشيء، إما أن يكون الإنسان عبدا لله خالصا له، أو يكون عنده عبودية لله، وعنده عبودية لغير الله، وهو لما استولى عليه، أو يكون عبدا لغير الله تماما، لهواه أو لشياطين الإنس والجن، أو للمظاهر التي حوله من أموال وغيرها، وإن ظهر للناس أنها ليس كذلك فهو لا ينفك عن هذا، ولهذا قال: هذا أمر ضروري، لا حيلة فيه، وهذا من سنة الله، من لم يبعد الله عبد غيره ولابد، لأن الإنسان خلق عبدا، لا يمكن أن يتخلص عن هذا، حتى الملاحدة الذين يقولون: أنهم لا يعبدون شيء، فهم لا ينفكون عن العبادة، فهم يعبدون شهواتهم، يعبدون بطونهم وفروجهم، أو يعبدون رؤساءهم أو يعبدون رئاساتهم ولابد، فالأمر في هذا واضح نعم.

القارئ: [فالقلب إِن لم يكن حَنِيفا مُقبلا على الله معرضًا عَمَّا سواهُ وَإِلَّا كَانَ مُشْركًا قَالَ تَعَالَى [٣٠-٣٢ الرّوم] : ﴿فأقم وَجهك للدّين حَنِيفا فطْرَة الله الَّتِي فطر النَّاس عَلَيْهَا لَا تَبْدِيل لخلق الله ذَلِك الدَّين الْقيم وَلَكِن أَكثر النَّاس لَا يعلمُونَ ۙ منيبين إِلَيْهِ واتقوه وَأَقِيمُوا الصَّلَاة وَلَا تَكُونُوا من الْمُشْركين ۙ من الَّذين فرقوا دينهم وَكَانُوا شيعًا كل حزب بِمَا لديهم فَرِحُونَ﴾ .

وَقد جعل الله سُبْحَانَهُ إِبْرَاهِيم وَآل إِبْرَاهِيم أَئِمَّة لهَؤُلَاء الحنفاء المخلصين أهل محبَّة الله وعبادته وإخلاص الدِّين لَهُ كَمَا جعل فِرْعَوْن وَآل فِرْعَوْن أَئِمَّة الْمُشْركين المتبعين أهواءهم قَالَ تَعَالَى فِي إِبْرَاهِيم [٧٢-٧٣ الْأَنْبِيَاء] : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاق وَيَعْقُوب نَافِلَة وكلا جعلنَا صالحين﴾].

الشيخ: ووهبنا له إسحاق هذا ولد، ويعقوب هو النافعي لأنه حفيده، وكلا جعلنا صالحين يعني من أبنائه، وهذا استجابة لدعوته حينما دعا ربه جل وعلا، ولهذا جعل النبوة في ذريته، فأي نبي بعث بعده هو من ذرية إبراهيم، وكذلك الكتاب، يعني الكتاب أنزل على الأنبياء نعم.

القارئ: [﴿وجعلناهم أَئِمَّة يهْدُونَ بأمرنا وأوحينا إِلَيْهِم فعل الْخيرَات وإقام الصَّلَاة وإيتاء الزَّكَاة وَكَانُوا لنا عابدين﴾].

الشيخ: هذا الثناء وهو الذي ينفع، أن يكونوا عابدين لله جل وعلا ليس لنفوسهم ولأهوائهم، وعباد الله الذين يكونون نظرائهم، فكما ميزهم الله عن ذلك فصاروا أئمة يقتدى بهم ويهتدى بهديهم، ويأمر الله جل وعلا أن نقتدي به، ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا﴾، ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه﴾، من هم الذين معه؟ هل إبراهيم كان معه أحد في دعوته؟ الذين معه إذا قالوا لقومهم، لوط صار لها قوم: ﴿إذ قالوا لقومهم إنا

برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله﴾، الذين معه كل الأنبياء الذين جاءوا بهذا الدين الذي هو عبادة الله وحده، نعم.

القارئ: [وَقَالَ فِي فِرْعَوْن وَقَومه [٤١-٤٢ الْقَصَص] : ﴿وجعلناهم أَئِمَّة يدعونَ إِلَى النَّار وَيَوْم الْقِيَامَة لَا ينْصرُونَ وأتبعناهم فِي هَذِه الدُّنْيَا لعنة وَيَوْم الْقِيَامَة هم من المقبوحين﴾ وَلِهَذَا يصير أَتبَاع فِرْعَوْن أَولا إِلَى أَلا يميزوا بَين مَا يُحِبهُ الله ويرضاه وَبَين مَا قدر الله وقضاه بل ينظرُونَ إِلَى الْمَشِيئَة الْمُطلقَة الشاملة ثمَّ فِي آخر].

الشيخ: هذا مثل ما سبق المشيئة المطلقة الشاملة، والمشيئة المقصود بها الإرادة الكونية، والإرادة قسمها أهل السنة إلى قسمين، إرادة قدرية كونية خلقية، يعني أن الله خلق الخلق بها، وهي التي يقول جل وعلا للشيء فيها كن فيكون، وكل شيء لا يخرج عنها سواء كان محبوبا أو مكروها مذموما، وهذه لا يلزم أن يكون مرادها محبوب لله، ومرضي له، قد يكون محبوب وقد يكون مكروه مبغض، كوجود السحر والكفر والمعاصي، لا توجد إلا بإذن الله بمشيئته، كل شيء، وإن كان المسئول عنها هو الفاعل لها، والإرادة الثانية الإرادة الدينية العملية الشرعية، وهذه التي هي مرادها، يعني كونها تمتثل وتفعل هذا الذي يحبه الله ويأمر به، ولكن لا يلزم من وجوده، لا يلزم أن توجد، ولهذا أكثر الناس عصوا أمر الله، لأن الله أمرهم بطاعته وخلقهم لعبادته، صاروا لا

يعبدون، يعبدون الشياطين شياطين الجن والإنس، فالفرق بين الإرادتين، أن الإرادة الكونية تتعلق بتكوين الأشياء ووجود الأشياء، وهي عامة شاملة لا يخرج عنها شيء، أما الإرادة الدينية فهي تتعلق بالأمر فقط، بأمره ودينه فقط، ولا يكون يمتثل لها إلا أهل الطاعة، وفي أهل الطاعة، مثلا إذا وقعت الطاعة لله، فهذا اتفقت فيه الإرادتان، وإذا وقعت المعصية من رجل مكلف، فقد تخلفت الإرادة الدينية ووجدت الإرادة الكونية القدرية، فهذا يدل على أن مراد الإرادة الدينية محبوب مأمور به، حب ما يحبه الله كونه ووجوده، ولا يلزم أن يوجد، لا يلزم، والإرادة القدرية لابد من وجود مرادها، ولا يتخلف، ولكن لا يلزم أن يكون محبوب لله، قد يكون مكروه لله، كوجود المعاصي وجود الكفر وجود الشياطين وغير ذلك، لولا الإرادة الكونية ما وجدت هذه، لأن الله جل وعلا هو المتصرف في الكون كله، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فهذا التقسيم تقسيم لابد منه، لأنه دل عليه كتاب الله، وكذلك أحاديث رسوله وكذلك الواقع، الله جل وعلا يقول: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء﴾، فالأمر الديني يقول جل وعلا في الصوم: ﴿ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾، اليسر هنا تخفيف، التخفيف والتسهيل على العباد، فعند المتكلمين من

أشاعرة وغيرهم لا يقسمون هذا التقسيم، فيقعون في المشاكل في مثل هذا، الذي يستشكلونها كثيرا ولا يتخلصون منها نعم.

القارئ: [ثمَّ فِي آخر الْأَمر لَا يميزون بَين الْخَالِق والمخلوق بل يجْعَلُونَ وجود هَذَا وجود هَذَا. وَيَقُول محققوهم: الشَّرِيعَة فِيهَا طَاعَة ومعصية والحقيقة فِيهَا مَعْصِيّة بِلَا طَاعَة وَالتَّحْقِيق لَيْسَ فِيهِ طَاعَة وَلَا مَعْصِيّة. وَهَذَا تَحْقِيق مَذْهَب فِرْعَوْن وَقَومه الَّذين أَنْكَرُوا الْخَالِق وأنكروا تكليمه لعَبْدِهِ مُوسَى وَمَا أرْسلهُ بِهِ من الْأَمر وَالنَّهْي].

الشيخ: طيب نريد واحد يعيد هذا الكلام الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الدينية من؟ نعم، هذه أول شيء الإرادة الكونية، والدينية؟ الشرع يعني، هذه تكون لغير المسلمين، طيب أيش الفرق بين المشيئة والإرادة من يقول؟ طيب يكفي خلاص.